صاحب الجلالة يوجه نداء الى الشعب المغربي
حول التضامن مع العالم القروي

وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يوم16 ذي الحجة 1415هـ موافق 16 ماي 1995 م،خطابا ساميا الى الأمة يتعلق بالتضامن مع العالم القروي الذي اصيب بكارثة الجفاف.

وفي ما يلي النص الكامل للخطاب الملكي السامي :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

منذ أن تعاقدنا أنت وأنا قررنا أن نقبل من الزمان حلوه ومره خيره وشره كما أننا قطعنا على أنفسنا أن يصارح بعضنا البعض كيفما كانت الأحوال وكيفما مرت الظروف.

وها أنا اليوم أقوم بواجب مصارحتك لأقول لك أن المدخول الفلاحي لهذه السنة في المغرب يجب أن نعتبره كارثة وطنية حيث أنه لايتعدى 16 مليون قنطار. أقول كارثة وطنية لأن 16 مليون قنطار تمثل الربع من المعدل المحصل عليه في السنوات المتوسطة.

أقول كارثة وطنية لأن هذه السنة أتت وقد سبقتها ما يزيد على ثلاث أو أربع سنوات من الجفاف إذا استثنينا السنة الماضية.

وأقول أخيرا كارثة وطنية لا لاتثبط عزيمتك ولا لاتنقص من شجاعتك بل كما أعرفك فان لفظ كارثة هو بالنسبة لك حافز ودافع حتى تتحدى الرهان الذي ينتظرنا.

إن الجفاف ليس بيد أحد بل هو بيد الله سبحانه وتعالى. وعلينا أن لا نقنط من رحمة الله. وعلينا ان نتشبث بما يقوله سبحانه وتعالى «إن مع العسر يسرا» وقد كررها «إن مع العسر يسرا».

إن الأضرار التي ستلحقنا من هذا الجفاف متعددة منها ما هو ظاهر ومنها ما هو باطن ذلك انه في سنة فلاحية متميزة نرى أن الرواج المالي يكون متراوحا بين ستة الاف وسبعة الاف مليار سنتيم. أما هذه السنة فلن نصل حتى الى خمس أو سدس هذا المبلغ.

لكن مع ذلك يجب علينا أن نضمن شيئين : أولا القوت وهذا ولله الحمد مضمون. فما يتوفر عليه المغرب من عملة صعبة ولله الحمد سيجعله قادرا على أن يتحمل جلب

الحبوب من الخارج. ولكن الحبوب وحدها ليست كافية فهناك الشغل والتشغيل في العالم القروي بالخصوص. ذلك العالم القروي الذي اذا كان بخير وعلى خير فهو لايتمتع وحده فقط بل يتمتع ويمتع كذلك سواء صناعتنا الخفيفة أو أسواقنا أو مدننا الكبرى والمتوسطة.

إن العالم القروي اليوم منكوب فعلينا جميعا أن نأخذ بيد هذا العالم القروي. فمن واجبنا واجب التكافل وواجب الأخذ باليد ان نتجند كلنا حتى لايحس ذلك الانسان الذي يعيش في القرى بعيدا عن الكهرباء وعن الماء الصالح للشرب وعن الطب الضروري لكل انسان وعن المدارس حتى لايحس ذلك الانسان المحروم في البادية ان السكان الاخرين نسوه وتناسوه.

أقول للانسان القروي كلا ثم كلا لن نتركك وحدك بل سنشد عضدك وسوف نسير جنبك راجين من الله سبحانه وتعالى ان يجعل غدنا احسن من يومنا.

ولقد وضع برنامج لتشغيل هؤلاء الناس في العالم القروي وهذا البرنامج يتطلب على الأقل 370 مليار سنتيم. كيف وزعناه. لقد خصصنا للماشية 44 مليار وللماء والبحث عن الماء واوراش الابار وللخطارات والسقي الصغير ما يقرب من 24 مليار. والجماعات المحلية كذلك ستقوم بدورها وخصصت 50 مليار.

أما أوراش التشغيل ليس التشغيل المتعلق بالبطالة بل التشغيل الذي يدخل في إطار التجهيز فقد خصصنا له 97 مليار. ومع ذلك فهذا كله لايكفي إذ سيبقى لنا من 370 مليار أن نجد 170 مليار سنتيم جديدة أو بعبارة اخرى ما يقرب من 200 مليون دولار. وهذا العجز سأتركه الى الأخير لأقول لك كيف ارى ان نسده.

هذه كما قلت لك شعبي العزيز كارثة ارجو الله سبحانه وتعالى أن لا تتكرر. وحسب ما يقول علماء الطقس فان سنة الجفاف هي سنة القرن. فكما يكون في البحر مد القرن وهو الشيء الذي يفرض بناء الموانىء خوفا من هذا المد وكما تكون هناك أيضا فيضانات القرن التي تتطلب بناء السدود كي تصمد امام الفيضان فكذلك تكون سنة الجفاف هي سنة القرن. ومع الأسف لايمكننا أمام الجفاف أن نتخذ أي حيطة. ولكن علينا أن نتخذ العبرة من هذا. بالطبع ستبقى الفلاحة هي اساس الثروة المغربية ولكن اذا كان ما يحيط بالفلاحة مزدهرا وقويا وناميا فسيمكننا أنذاك أن نتحمل صدمة

الجفاف ولا اظن اننا سوف نتعرض لصدمة مثل هذا الجفاف حيث لم يتجاوز انتاج الحبوب 16 مليون قنطار أي ربع معدل سنة متوسطة. لابد أن نخلق من الآن ادوات لتكوين هذه الثروة الموازية للثروة الفلاحية وذلك بالاستثمارات وبالقوانين وبالتركيز على السير قدما افرادا وجماعات وادارة بالاخص حتى نتخلص من هذه القيود التي نراها يوما بعد يوم لاتترك لنا أي مجال لحرية العمل ولا حتى لحرية الابتكار.

يجب أن نخرج إلى الوجود قوانين الشغل والاستثمارات والتجارة والشركات

هناك حلول ضرورية كامنة في ايجاد قوانين. وهكذا يجب أن يخرج الى الوجود في أقرب وقت ممكن قانون الشغل وقانون الاستثمارات وقانون التجارة والشركات. وهذه القوانين الثلاثة ضرورية لكل مستثمر سواء كان مغربيا أو أجنبيا. وهذه كما قلت هي الادوات الاساسية لبناء اقتصاد متنوع لايعتمد فقط على الفلاحة وما يسايرها بل يعتمد ايضا على غير الفلاحة. قلنا إذن ان قانون الشغل وقانون الاستثمارات وقانون التجارة والشركات هي اساس كل عمل استثماري ويلي ذلك أو يسايره قانون الماء أو الاستعمال الرشيد للماء.

وبين قوسين أقول اننا نهجنا ولله الحمد منذ أكثر من ثلاثين سنة سياسة بناء السدود. وقد تذكر - شعبي العزيز - حينما دعوتك لتساهم بقسط ضئيل في ثمن السكر في بناء سد على واد زيز هو سد الحسن الداخل كنت قد اجبتني انذاك بحماس وثقة وايمان. والحالة هذه أن العالم جله كان يضحك ويظن اننا قد ركبنا سياسة التبختر او التهريج او سياسة الاعمال الضخمة دون تقدير لمردوديتها ولا للعواقب المالية التي ستترتب عنها. وقد تم ولله الحمد منذ ذلك الوقت الى يومنا هذا بناء ما يزيد أو ما يقرب من 30 سدا.

والى جانب هذه القوانين علينا ان نخرج للوجود القانون التنظيمي للمجلس الاقتصادي والاجتماعي وعلينا كذلك ان ننظر الى ما هو ابعد وابعد وسأقول لك كيف ذلك.

ان هذه القوانين - شعبي العزيز - وهي جاهزة الان ستطرح على انظار البرلمان قبل اختتام الدورة العادية هذه أن لم يكن في الاسبوعين المقبلين ولي اليقين ان دراسة هذه القوانين والموافقة عليها ستجلب مصلحة كبرى للبلد لأن كل مستثمر مغربيا كان او غير

مغربي سيشعر أنه يعيش في اطار قانوني فيه التزام من طرف الدولة وفيه حفاظ كذلك على حقوق المستثمر وعلى ما ينتظره من أرباح.

هناك كذلك تفكير جدي في تقليص نفقات تسيير الدولة والمؤسسات العمومية. وفي المرحلة الأولى سيكون هذا التقليص في حدود 5 بالمائة ويمكننا أن نحصل نتيجة لذلك على مليار درهم على الاقل معترفين ان نسبة 5 بالمائة لاتكفي إذ يمكننا أن نصل الى ما هو اكثر وكل ما ادخرناه في هذه الحالة سيوجه للتجهيز.

وهناك مرحلة أخرى - شعبي العزيز - أعتبرها مرحلة أساسية بالنسبة للبلد وبالنسبة لكل جهاز سواء كان تشريعيا أو تنفيذيا وهو أن نعدل الدستور في ما يخص وضع القانون المالي. فالدستور ينص على انه يجب على البرلمان أن يكون قد صادق على الميزانية في 31 ديسمبر. وقد ظهر ونحن اليوم نرى ذلك أن وضع الميزانية في اخر السنة غير معقول وغير مطابق للواقع المغربي حيث ان الحكومة تضع القانون المالي ويصادق عليه البرلمان اما بتعديل او بدون تعديل ونحن لانعرف نهائيا كيف ستكون السنة الفلاحية ولايمكن لأي أحد ان يتكهن كيف ستكون السنة الفلاحية. فلهذا أرى من الضروري ومن المنطقي ومن الواقعي أن تعرض الميزانية على أنظار البرلمان في فاتح ماي من السنة المقبلة ان شاء الله ويعطي للبرلمان شهران كما كان الشأن بالنسبة لنوفمبر ودجنبر ان يعطي اذن للبرلمان شهران هما ماي ويونيو للنظر والبت في القانون المالي. وهذا التعديل يقتضي بالطبع استفتاء وسوف نقوم به ان شاء الله في الظرف الملائم لاننا نريد ان نخرج من هذا الوضع في أقرب وقت ممكن ويمكن أنذاك ان نفكر في أن تدرس الحكومة في دورة اكتوبر مع البرلمان قانونا ماليا تعديليا الى ان يعرض القانون المالي الأساس في فاتح ماي على أنظار البرلمان.

هذا كله - شعبي العزيز - يتضمن إجراءات مادية ولكن الإجراءات المادية كيفما كانت لا نفع لها ولا جدوى اذا لم يكن المناخ الذي يحيط بها والجو الذي اتخذت فيه جوا لائقا.

وهنا يجب أن ننظر الى الناحية الاجتماعية. فيجب أكثر من ذي قبل أن يفتح الحوار الاجتماعي. وسأسهر شخصيا على ذلك. اني اعتبر ان سنة الكارثة الوطنية هذه الناتجة عن الجفاف ستكون عابرة ان شاء الله. اما الحوار الاجتماعي فهو عنصر اساسي في

تفادي الجفاف السياسي والاجتماعي والصناعي والفلاحي. وسأسهر شخصيا على المراحل التي سأقولها لك. فيجب أولا برمجة المشاكل حسب الاسبقيات. وبالطبع كل ما يمكن ان نعمله سنعمله. ولكن ليس بالامكان اكثر - لا اقول احسن - ليس بالامكان اكثر مما كان. ولكن هناك اسبقيات علينا أولا أن نبرمجها ونرتبها. وثانيا علينا ان نتخذ لانفسنا قاعدة للعمل تتمثل في ان تضرب مواعيد ومواقيت لتحقيق هذا الوعد تدريجيا حسب البرنامج وحسب اليومية التي كنا وضعناها. بحيث يكون جدول الاصلاحات جدولا مضبوطا في الزمن وحسب توفر الوسائل. وهذا الحوار لا ينبغي ان يكون مرتبطا بهذه الواقعة أو تلك بل يجب أن يكون ملازما لنا حتى لو اقتضى الحال أن يلتقي الناس ويقولون ليس لنا ما نقوله فالى اللقاء. فمن اللازم إذن أن يكون الحوار وهذا شيء ضروري. وكما قلت لك - شعبي العزيز - سأتكفل شخصيا بان يستمر هذا الحوار بين جميع المعنيين في عالم الشغل وعالم المشغلين ولكن أقول أن هناك عنصرا اساسيا كذلك ينقصنا في هذا الحوار وهو الكونفدرالية العامة للمقاولين المغاربة. أقول لهم ان كونفدراليتكم ليست كافية وغير ممثلة (بكسر الثاء) وليست لها الصبغة التي تجعلها في مستوى الالتزام. فادعوهم لأن يكونوا في مدة شهر وفي أقرب وقت ممكن نقابة للمشغلين لاتضم فقط رؤوس الأموال والتجارات الكبرى بل ايضا النسيج الحقيقي لاقتصادنا كما نريده وهو نسيج المقاولات الصغرى والمتوسطة بحيث يجب على هذه النقابة اذا ارادت ان يكون لها دورها في الحوار الاجتماعي - ولها دور في الحوار الاجتماعي - يجب ان تكون في مستوى مخاطبيها ويجب أن تكون لها الصلاحية للالتزام.

فليس من الضروري دائما اذا كان هناك حوار أن يكون فقط بين الحكومة وبين الطبقة الكادحة الشغيلة او بين الحكومة وبين مجموعة المشغلين. لا فالذي يحل المشكل أكثر وأكثر هو الحوار المتوازن والمتوازي بين الشغالين والمشغلين ولايمكن لهذا الحوار أن يكون موازيا للحوارات الأخرى ومتوازنا في الالتزام الا اذا كان لكونفدرالية المقاولين المغاربة حجم وأرضية الالتزام. ولذا ادعوهم رسميا وبكيفية علنية الى ان ينكبوا على دراسة هذا المشكل لأن انعدام مخاطب في هذا الشكل وفي هذا المستوى يمثل ثغرة مهمة ولاسيما انه في غضون هذا الشهر سيعرض القانون التنظيمي للمجلس الاقتصادي والاجتماعي

على البرلمان ولهم دورهم في هذا المجلس. وأعتمد جدا على دورهم كما أعتمد على النقابات كي يظهر المغرب بمظهر القرن المقبل أو بمظهر اخر القرن الذي نعيشه الان. لقد ولى ذلك الزمان الذي كان فيه صاحب المعمل هو عدو العامل والعامل هو الخصم اللذوذ لصاحب المعمل. لقد ولت تلك العقلية وانقرضت لان المستوى الفكري لليد العاملة والشغالين ارتفع إذ أصبحوا قادرين على المشاركة بارائهم في تسيير عدة مؤسسات صناعية. فاليوم يجب أن تكون هناك شراكة بين المشغل والشغال لأن لهما معا مصلحة ليس فقط في استمرار المؤسسة بل لهما ايضا مصلحة في ان تزدهر. فكلما ازدهرت المؤسسة تحتمت الزيادة في الأجور. فعند تجاوز حد من الحدود تصبح الزيادة في الأجور بالنسبة لمؤسسة من المؤسسات زيادة حتمية. وهذه الزيادة في النمو وفي اتساع رقعة المؤسسة لايمكن أن تتم ابدا مادمنا على الخصام التقليدي الذي عاشت عليه أوربا منذ سنة 1917 حينما ظهرت البولشيفية أثناء الحرب العالمية الاولى. ولايمكننا أن ننتظر نهاية هذا القرن لنعتقد أن ذلك المغربي الكادح الذي يعمل في المعمل هو عدو لذلك المغربي صاحب المعمل الذي يرى بدوره ان ذلك العامل هو خصمه وعدوه.

علينا أن نتقي الله في انفسنا فرب المعمل والعاملون فيه كلهم في مركبة واحدة.

إذن يجب أن يكون للحكومة وللنقابات مخاطب اخر وهو نقابة مبنية على اسس قانونية صلبة يمكنها ان تضاهي مثيلاتها في عدة دول مجاورة لنا وتكون اداة ايجابية في التعامل ودراسة المشاكل الاجتماعية.

شعبي العزيز

قلت لك انني سأبين لك في الاخير كيف سنحاول سد العجز المقدر بـ 170 مليار سنتيم. سيمكننا ان نسده اولا اذا نحن ادركنا ان هذه الكارثة عمت الجميع سواء التاجر أو الاستاذ أو الفلاح أو الطبيب أو المهندس أو النقابي أو السياسي أو الكاتب أو الفنان وكل واحد منا. فاذا نحن وصلنا الى هذه القناعة تحتم علينا ان نهدىء اعصابنا. فامام الكارثة يجب أن يكون هناك تضامن ويجب التحلي بالتعقل والجد. ولا أخفي عليك شعبي العزيز أن ما تسمعه واسمعه أنا معك وما تراه من مساجلات ونقاشات بين الجهازين الحكومي والتشريعي لايشفي الغليل وليس في مستوى ما ننتظره نحن

المواطنين العاديين. فأرجو من الحكومة ومن البرلمان أن يرفعا من مستوى مساجلاتهما فنحن المغاربة فوق ذلك المستوى الذي يظهران به أمامنا. فأطلب من الجميع ان يشرئبوا باعناقهم الى المستقبل ويأتونا بافكار وفلسفة ومذاهب ومناهج. فالكل شعبي العزيز واستسمحك في ذلك لاني احترمك كل الاحترام الكل ينتظر عشية يوم الاربعاء ليتفرج على (السيرك) سواء من هذا الجانب أو ذاك. ان هذا أمر غير معقول وليس هذا هو أملنا في الديمقراطية ولا هو ما ننتظره من الديمقراطية.

فنحن ننتظر من الديمقراطية خطابا موزونا ومتزنا. بالطبع يبقى البشر بشرا يمكن أن يهفو في تعبيره لكن لايسمح على مستوى التفكير لا لوزير كمسؤول في الحكومة ولا لبرلماني بصفته مطوقا بامانة تمثيل ناخبيه بان لا يكونا في مستوى هذا الشعب الذي له قرون من الاصالة والامجاد وله طموحات في مستوى ماضيه. اذن علينا قبل كل شيء - وهذا كذلك سيعين على - الفراغ المالي الذي ذكرناه من قبل وهو 200 مليون دولار ان نهدىء أعصابنا لانه كما يقول المثل الفرنسي «المعدة الجائعة لاتسمع» فلهذا أضع جميع المفكرين امام مسؤوليتهم الروحية والادبية. فيجب علينا أن نهدىء اعصابنا ونغير لهجتنا وخطابنا ونرفع من مستواه. واذا رفعنا من مستواه سنكون محترمين اكثر لمن يرانا ويسمعنا ولمن تجري عليه القوانين التي تأتي بها الحكومة ويصوت عليها البرلمان. فانا مثلي مثل جميع المغاربة أول من يسرى عليه القانون الذي نتقدم به للحكومة ويصوت عليه البرلمان. ولكن يبقى التساؤل في أي جو مر ذلك القانون وباي نظرة وبأي تطلع وبأي فلسفة. اذن حتى هذا الجفاف في الحوار اريد ان نضع له حدا ويظهر أن وضع هذا الحد بأيدينا ولي اليقين ان كل المعنيين بالأمر سواء من هذا الجانب أو ذاك سيستخلصون العبرة مما قلت.

أما بخصوص العجز من الناحية المادية ليست هناك - شعبي العزيز - الا طريقة واحدة وهي ان يعطي من له سعة في الرزق من لا سعة له.

تذكر شعبي العزيز اننا في سنة 1973 وكان وقتها عدد من النظارة الذين يشاهدونني الآن اما صغارا أو لم يزدادوا بعد ارسلنا تجريدة الى الجولان وقد تحلت هذه التجريدة والحمد لله بالشجاعة والبطولة اللتين لازالتا تجعلان الان اخواننا في الشرق سوريين ومصريين سواء بالنسبة للجولان أو بعد ذلك بالنسبة لسيناء يذكروننا بخير

وباعتزاز بل يعتبروننا اخوانا واشقاء لهم. وبعد اندلاع الحرب كان المغرب في حاجة وانذاك طلبت من جميع المواطنين القادرين المساهمة كل واحد حسب طاقته. وكنت ساهمت أنذاك بان تنازلت عن مرتبي لمدة شهور. واليوم أعتبر أن هذه الكارثة تقتضي منا نفس الشيء وأنا أتنازل عن مرتبي الشهري ابتداء من شهر يونيو وقد اعطيت الأمر لوزير المالية لوقف مرتبي الشهري الى أن يسد هذا العجز ان شاء الله.

وأملي ان يساهم الناس القادرون حسب طاقة كل منهم. فهناك من يمكن ان يتنازل عن يوم واحد من راتبه وهناك من يمكنه ان يتنازل عن خمسة عشر يوما من اجرته مرة واحدة. وهناك من الاثرياء من بامكانهم التنازل عن مرتب شهرين أو ثلاثة شهور. ولي اليقين اننا بهذا العمل وبهذا التضامن سنكون اناسا في المستوى.

شعبي العزيز

إن العالم القروي اهمل وانسان البادية اهمل لمدة طويلة. وعلينا أولا في هذه السنة أن نمسح دموعه ونقف بجانبه كما علينا في السنوات المقبلة أن نضاعف المجهودات المالية والتجهيزية التي لم تكن كافية له في السنوات الماضية. مرة أخرى أهيب بك أن تكون سخيا معطاء وأن تتضامن بكل ما تقدر عليه فحتى القليل فيه كفاية. وغدا إن شاء الله سيفتح حساب في البنك المركزي وسيعلن عن رقم هذا الحساب في التلفزيون وفي الصحف وجزى الله خيرا كل من ساهم بشيء سرا أو علنا. وانا لا أرى مانعا في الاعلان عن المساهمات. فمن له ما يعطي يمكنه أن يرسله لذلك الحساب في البنك المركزي بنك المغرب. وأرجو ان تكون الحصيلة في المستوى الذي ننتظره.

ولايمكنني أن اختم هذه الكلمة الا بهذه الاية التي توقد نور الأمل في أنفسنا حينما يقول الله سبحانه وتعالى «ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين» وحينما يقول سبحانه وتعالى «ولنبلونكم بشيء من الخوف» هل (الباء) و (من) للتقليل أو للنوعية الله أعلم. أنا أتمنى أن تكون من باب التقليل «ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين».فلنصبر ولنسر ولنضع ثقتنا وايماننا في الله سبحانه وتعالى. انه لايضيع اجر العاملين ولا يخيب سؤال السائلين. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.